هل أتاك حديث المجاهد الهلمندي ؟!

تعريب: الصمود

أنا أخوكم عبدالرحيم من مجاهدي برافشه-هلمند وهذه قصتي. في عام 2011م هاجمت أميركا بقضها وقضيضها بلدة برافشه، وكان عدد الدبابات التي عبرت سهول الجبال التي كنا على قمتها يبلغ 100 دبابة، وبعد يومين من عمليتهم رجعوا، فرأينا 4 إلى 6 من دبابتهم مدمرة ينقلونها على الشاحنات.
لأنّ القوات الصليبية المحتلة عندما احتلت سوق مديرية برافشه، أعد أمير المنطقة جماعة من الاستشهاديين، فتوجهوا نحو السوق وعندما سمعوا بمجيء الاستشهاديين، لاذوا بالفرار، وأما الدبابات التي دمرت في هذه المعركة كان بسبب صواريخ (BM) والألغام المزروعة.

وبعد 5 أيام من فرار القوات الصليبية من المنطقة أراد الأمراء أن يزيدوا عدد الاستشهاديين، فذهب أخونا وأميرنا الشهيد أحمد رحمه الله (أنظر سيرته في العدد 82) ذهب إلى برافشه (لأننا كنا في منطقة تشوتو وهذه المنطقة تبعد تقريباً 20 كيلومتر من برافشه) لتفقد الأوضاع والمواد الغذائية لنا، وإيصال رسالة أخوين منّا أرادا أن يسجلا اسميهما في قائمة الاستشهاديين، وهما الشهيد أنس والشهيد عبدالمتين.

فرجع الشهيد أحمد حزين القلب شارد البال وقال: "إنّ الأخ فاروق ومعاوية وخالد قضوا نحبهم في سبيل الله، فحزنت جداً؛ لأن معاوية كان ابن خالتي، ولم يمض على مجيئه إلى أرض الجهاد سوى 20 يوماً".
وكان الشهيد فاروق من أصدقاء الشهيد أحمد الذي كان معه في سجن بولتشرخي وقضوا سنة وأربع شهور في ذلك السجن المشبوه، فكان الشهيد رحمه الله يقول: "سبقني فاروق وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يعجل بشهادتي ويمزقني إرباً إرباً في سبيله".
ثم قال للشهيد عبدالمتين: "لقد أذن لك أمير المنطقة إلى بهرامتشه للعملية الاستشهادية ولكن لم يسمح للشهيد أنس وقال لابد أن يبقى أنس معكم في تشوتو". وعندما سمع الشهيد عبدالمتين هذا الخبر خرّ ساجداً لله من الفرح ، ثم قال لصديقه الشهيد أنس: "سامحني".. إلا أن الشهيد أنس رحمه الله حزن بداية الأمر ثم قال: "لابأس".

فكان من المقرر أن يذهبوا بالشهيد عبدالمتين في الغد إلى البلدة، ولكن وفي الغد كانت طائرات الاستطلاع والنفاثة تحوم في الفضاء فلم يوفق الشهيد بأن يذهب إلى البلدة، فقال: "لو لم يكن في الغد أي مشكل سنرجع إلى البلدة". ولكن كان من قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره أن تقع حادثة في تلك الليلة.

وكان من دأبنا أن نقسم الإخوة إلى جماعتين، فجماعة كانت مع الأخ الشهيد أحمد رحمه الله وجماعة كانت معي. فذهبنا إلى جبل يوجد فيه بعض الكهوف والغارات الصغيرة، فصلينا العشاء، وأردنا أن نتسامر وكان الليل مقمراً، فسمعنا أزيز طائرة الاستطلاع، فقام الإخوة بالانتشار هنا وهنالك، وفي هذه الأثناء ألقى العدوّ قنابل مضيئة لاستكشاف المنطقة، فقلنا لعل العدو يقصد الهجوم علينا؛ لأن طائرات الاستطلاع كانت تحوم في المنطقة، وهاجم العدوّ بالأمس مدججاً بـ 20 دبابة منطقة قريبة منا والآن يقصد أن يهجم علينا، وعندما فشلوا في تحقيق مآربهم في تلك البقعة المباركة رجعوا أذلة صاغرين، واستقروا خلف جبال كنّا على قممها ومن خلفهم.

على أي حال وضعت رأسي على الوسادة، وكنت أسمع ضوضاء الدبابات وكانت أصواتها قريبة كنت أظن بأنهم قريبون منا جداً، وقسمنا ساعات الحراسة فيما بيننا، ولما تنفس الصبح وانفلق الفجر، قال الشهيد عبدالمتين رحمه الله يا أخي إئذن لي أن أذهب وأغتسل لأني احتلمت، ولكني ما أذنت له؛ لأني ما كنت أدري ماذا يجرى في الغابة، وقلت يا أخي أنت صليت بالتيمم فلا أرى حاجة كي تغتسل؛ لأننا لاندري ما الخبر في الغابة وأطرافها، وبعدما مضى نحو نصف ساعة ولم نحس بأي خطر، قال مرة أخرى: دعني أذهب وأغتسل، فقلت له: لابأس ولكن تعجل وارجع بسرعة، وبعدما طلعت الشمس ذهب الأخ للاغتسال، ولم تمض ساعة إلا ورأينا مروحيتين تجولان على الغابة وقصفتا أطراف الغابة.

فأردت أن أذهب مع أخ آخر نتفقد عبدالمتين، وفي هذه الأثناء سمعت -ولله الحمد- نداء الأخ الشهيد أحمد رحمه الله كان يناديني بجهاز اللاسلكي، فأجبته وبعد استطلاع الأحوال أخبرني بأن عبدالمتين عندهم فلا نقلق، وقال إن عبدالمتين يقول سامحني؛ لأني بعدما اغتسلت أردت أن أتفقد حال الإخوة الآخرين فجاءت المروحيات وقصفتني فاضطررت أن أذهب وأبقى عندهم.

ففرحت جداً عندما بشروني بسلامة الأخ عبدالمتين.. وعندما ذهب عبدالمتين للاغتسال أصر أخ آخر علي كي يتسلق قمّة جبل قريب منا، فسألته لماذا؟ قال: أريد أن أنظر وأراقب الأمريكيين هل هم قريبون منا أم بعيدون! فقلت له: يا أخي إن قمة الجبال خطيرة جداً ولا أرى حاجة كي تتسلق هنالك؛ لأن المروحية أو طائرة الاستطلاع إذا اقتربت فستواجه معضلة، فلايمكنك الرجوع إلا أن تبعد عنا وليس معك اللاسلكي فلا ندري أحوالك.
ثم أصر مرة أخرى وقال حتى ندري ماذا يدور حولنا أتسلق الجبل، فقلت إذن عليك أن لاتبعد كثيراً بل كن على مقربة بحيث أراك ولاتبعد عن عيني، فقال لا بأس، فظننت أنه جلس هناك في مكان ولكنه تقدم إلى الغابة كي يرى هل الأميركان تقدموا أم لا.. ثم رجع إليّ وكانت الساعة 10 أو 11 صبحاً.

وفي الظهيرة استأذن مني أخوان آخران وقالا لي هل تأذن بأن نذهب إلى غرفتنا - في الغابة- ونصنع غداءاً لنا؟
فقلت: اليوم أيضاً نكتفي ونأكل ما معنا من الخبز الجاف ونسد به رمقنا ولا أرى حاجة في الرجوع إلى الغابة في هذا الوقت



الحساس حتى تهدأ الأوضاع.
ثم بعد مدة رجع الأخ الذي كان على قمة الجبل بعد أن راقب الأعداء من هناك، وأخبرني بأن زهاء 16 دبابة متجهة نحو القرية الفلانية، فقلت له: كيف يمكنهم ذلك؟ إنهم لايستطيعون أن يذهبوا إلى تلك القرية إلا أن يعبروا على شِعْب مليئ بالألغام.. فقال لا أدري ولكني رأيتها متجهة نحوها وأمام الدبابات كاسحة الألغام.

وفي هذا الوقت سأل أميرالمنطقة الشهيد أحمد عن أوضاع منطقتنا، فقال له: الحمدلله الأوضاع هادئة عندنا؛ لأن الجبال كانت تحجب الرؤية بينه وبين الدبابات، وفي هذه الأثناء قلت للشهيد أحمد رحمه الله: أخي إن 16 دبابة اتجهت نحونا أخبر الأمير عن ذلك، فأخبره.

وفي الساعة 12 ناداني الشهيد أحمد رحمه الله عبر اللاسلكي وقال لي: هيا بسرعة إئت نحو الغابة.
فتعجبت ولم أكن أدري ما الخبر، فقلت: ما الخبر؟
فقال: لا تتكلم، فقط تعال عندنا.
فلما وصلت إلى الغابة وإلى غرفتنا، فوجدته والإخوة الآخرين الذين كانوا معه هنالك، نزلوا جميعا من الجبال.
فلما وصلت عندهم سألتهم مالخبر؟

قال: أخي وصلت الدبابة إلى القرية القريبة منا، والآن اتجهت نحونا من الخلف، هيا ماذا نفعل؟
فقلت: علينا أن ننقسم إلى ثلاثة جماعات مختلفة وبهذا النمط نتسلق الجبال، فخرجنا وأردنا أن نخرج أنفسنا من هذه المحاصرة، فكنا نذهب من غربي المنطقة، وكانت الدبابات تأتي من نفس المنطقة إلى غرفاتنا بالدبابات، ونحن لسنا على علم بذلك، إلا أننا كنا في السهول، فأمر أمير الإخوة البشتون أحد الإخوة أن يتسلق الجبل كي يعرف أين الدبابات، وعندما صعد الأخ نزل بسرعة وقال إن الدبابات أمامنا وهي في طريقها إلينا، فلم يكمل كلامه حتى رمونا بالهاون و3 قذائف سقطت قريباً منا ولكن بحمدالله لم تصب أحداً، فاضطرب الإخوة من الحادثة، وفي هذه الأثناء قال الأمير أمهلوني دقيقة حتى أتفكر، فقلت يا أخي هم الآن عرفوا مكاننا والآن تأتي الطائرات وتقصفنا، ولم تمضِ 5 دقائق حتى أتت نفاثتين من طراز اف 16 تحلقان فوقنا، وهنا افترقنا عن بعضنا البعض وكل واحد منا يمشي إلى جهة، وكان الأمير ينادي بأعلى صوته: "أيها الإخوة لاتتحركوا"، ولكن النفاثات كانت قريبة جداً ولها ضوضاء ضجيج حال دون سماع الإخوة الآخرون لندائه، فكان كل واحد يتحرك نحو مكان.
وفي هذا الوقت صعدت على تل ونسيت اللاسلكي، وعندما أردت أن أرجع ناداني أخ آخر وقال أنا أخذته فلاترجع، فكنا نمشي بالفاصلة، وفي هذا الوقت قصفت الطائرات الغرفة والجبال ولكن بفضل الله لم يصب أحد منا، وبعدما مشينا قرابة الـ 4 ساعات نحو الشرق اتجهنا نحو الجنوب، ولم يكن معنا شيء إلا علبة من الحليب الحامض بحوزة الشهيد أحمد رحمه الله، وكان قلقاً على الإخوة حتى لا يفترقوا أو يضلوا السبيل، ودائما كان يدعو الله ولم نكن نشاهد عليه شيئا من الخوف أو الوجل، ويقول: يا الله إنك فوقهم وأنت تشد ظهرنا فنتوكل عليك وهم يتوكلون على هذه النفاثات، وكان يكبر الله أكبر .. الله أكبر ويقول للإخوة بنداء عالٍ جداً لاتقلقوا إنها الشهادة.
ثم وصلنا إلى صحراء فتوقفنا جميعا هناك، وكان علينا أن نعبر زهاء 700 إلى 800 كم حتى نصل إلى الأكمام، وكان من الأيمن طريق ومن الأيسر طريق، فلم نختر الطريقين لأنه كان من الممكن أن يكون هنالك دبابات العدو، وقلت للشهيد أحمد رحمه الله نصبر 5 إلى 10 دقائق، ثم نعبر واحدا واحدا عبر هذا الوادي حتى نصل إلى الأكمام، فوافق على ذلك، فأرسلنا الإخوة واحداً واحداً فلم يبق إلا أنا والشهيد أحمد فقلت هيا نجري معاً فعدونا حتى وصلنا بحمدالله هنالك، فلما وصلنا هنالك جلسنا عند بعض الإخوة، وبعض الإخوة الآخرين صعدوا على التل القريب منا، فأعطانا الشهيد أحمد رحمه الله الحليب الحامض وقال لنا إشربوا فلما شربنا أراد الشهيد ماجد أن يذهب بالحليب

إلى الإخوة الذين كانوا على التل، فقال له الشهيد أحمد رحمه الله مكانك أنا أسقيهم الحليب.
فأخذ العلبة وانطلق نحو الإخوة ولم تمض إلا دقيقتان حتى سمعنا صوت انفجار شديد حيث وارانا التراب بحيث لم يكن بوسعي أن أرى شيئاً، فظننت أن الدبابات رمتنا بقذائف هاون؛ لأنه لم يكن أزيزالطائرات قريباً منا؛ بل كان بعيداً، فلامست أطرافي كلها فوجدت نفسي سالماً، ثم رأيت الأخ عبدالماجد فكان أيضاً سالما والأخ الآخر الذي كان معنا هو أيضاً كان مثلنا صحيحاً، ثم نظرت إلى الإخوة الذين كانوا على التل وكانت المسافة بيننا وبينهم زهاء 10 إلى 15 أمتار فلم أرهم، ناديتهم ولكن لم يجبني أحد منهم، ثم صعد عبدالماجد على التل وبعد لحظة ارتفع صوته بالبكاء، ثم نادى الشهيد أحمد رحمه الله ظناً منه بأنه ذهب إلى مكان آخر، ولكنه لم يجب؛ لأن القنبلة سقطت على جسمه الطاهر فلم يبق من جسمه شيء، فصعد الأخ الآخر على التل ولما رآهم هو أيضا أخذ بالبكاء، فسألتهم لماذا تبكون؟
قالا: إن الأخ عبدالمتين والأخ أحمد قد استشهدا والأخ أنس قد جرح ويردد كلمة لاإله إلا الله ويذكر الله.
فأردت أن أصعد التل، وعندما نظرت إلى السماء من خلفي، رأيت الطائرة النفاثة قريبة جداً منا، وظننت أنها واقفة هنالك من شدة بطأها، فقلت للأخ عبدالماجد والأخ الآخر ابتعدا من المكان واجلسا بسرعة، فلما جلسا في مكان، قصفت الطائرة مرة أخرى الإخوة الشهداء، وكانت تحوم فوقهم ثم تقصف الشهداء، وقصفت تقريباً عشر مرات، فلم نقدر أن نتحرك من مكاننا، فصلينا العصر جالسين، وكنا ندعو الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا، وكانت الطائرة قريبة جداً، كانت تقريباً على ارتفاع 100 إلى 200 متر فقط من الأرض، إلا أنها كانت تقف في السماء أثناء القصف.
فكنا ندعو الله سبحانه وتعالى أن يبعد عنا هؤلاء الأنجاس حتى نرى كيف حال أخينا أنس الجريح ونتفقد حاله ونساعده للخروج، وبعدما ابتعدت الطائرة صعدنا التل، فرأينا الأخ أنس قد قضى نحبه إلا أن جسمه كان سالماً، والأخ عبدالمتين انفصل رأسه عن جسده وبترت إحدى قدماه وكانت على بعد 20 متراً من مكانه، وقد استشهد جالساً أي لم يسقط بعد استشهاده. وأما الأخ أحمد رحمه الله لم يبق منه شيء سوى اسمه، ولكن رأيت علبة الحليب سالمة، ولكن من شدة العجلة لم أوفق لأخذها، ثم نادينا الأخ الآخر فخرج من بين إحدى الأحجار وأتى إلينا ولكنه كان جريحاً واحترق سرواله إلى فخذيه، ولكن بحمد الله لم تكن جراحته بالغة ولكنه يتحرك بصعوبة، فسألته هل تقدر على المشي؟ قال: نعم.
فقلت: إذن علينا أن نترك المكان بسرعة، وعلينا أن نذهب إلى البيت الذي كان قريباً منا، فلما نزلنا البيت، عادت الطائرتان النفاثتان للتحليق فوقنا، فظننا أنهما ستقصفان البيت الذي كنا فيه، فآن موعد صلاة المغرب وابتعدتا بحمدالله ولم تقصفانا، فتيممنا بالصعيد الطاهر وصلينا المغرب.

وبعد الصلاة استشارني الإخوة وقالوا لي ماذا نفعل؟ فقلت لهم: إننا لانعرف المنطقة و الليل حالك جدا، وهذا الأخ مصاب والمسافة بيننا وبين البلدة بعيدة جداً ولانعرف تماماً أين البلدة، وكنا متعبين جداً، ولم يكن معنا شيء ولم يكن معنا جهاز اللاسلكي؛ لأن اللاسلكي الذي كان بحوزتي أخذه الإخوة الآخرون، وأما اللاسلكي الذي كان للأخ الشهيد أحمد رحمه الله، فقد أبيد في القصف.
فسألتهم: أنتم ما تقولون، ماذا نفعل؟ قالوا: نحن راضون بما تقضي أنت. فسألت الأخ المصاب: هل تقدر بأن تمشي معنا؟
فقال: نعم.
فقلت: لا أدري ماذا أفعل، إننا متعبين، ولانعرف الطريق، كما أن معنا أخ جريح، ومن ناحية أخرى لو بقينا هنا إلى الصبح فهذا البيت واقع على طريق الدبابات، ولو نمنا ولم نستطع الاستيقاظ فمن الممكن أن يأتي العدو ويهجم علينا، والظلام دامس، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرجت يدي فلا أكاد أراها من شدة الظلام، ولانعرف الطريق المؤدي إلى خندق "الشهيد" ، فدعوت الله، "يا الله إقض لنا الخير".

ثم توكلنا على الله وهيأنا أسلحتنا وخرجنا من البيت وعندئذ قال الأخ عبدالماجد أنا أعرف الطريق المؤدي إلى خندق الشهيد عن طريق النجوم؛ لأنني قبل ذلك عندما كنت أذهب في الليل كنت أنظر إلى الكواكب والنجوم.
فمشينا وكنا نتعثر في الطريق من شدة الظلام، وكنا نمشي صراطا سوياً ونعبر الوديان والجبال؛ لأننا كنا نمشي عن طريق النجوم ولم نكن نستطيع أن نرى من حولنا شيئا، وبقينا نمشي حتى أشارت عقارب الساعة إلى الـ 11 تماماً وههنا تعبنا جداً.
فسألني الإخوة: ماذا نفعل؟ إن الساعة الآن 11 مساءً، وقد تعبنا جداً ولم نكن نقدر على المشي أصلاً، وهذا الأخ يلوك جراحه ويئن من شدة الألم، ولو أردنا مواصلة المسير فلابد من استجمام حتى يزيل عنا التعب؟ فقلت : لا بأس ، نستريح هنا إلى الصبح ولكن علينا أن ننطلق مع الفجر.

فكنا لانعرف أين نحن، وفي هذه الأثناء ألقى العدوّ قنابل مضيئة فاستكشفنا المنطقة، إلا أننا لم نستطع النوم من شدة البرد، فلما انفلق الفجر صلينا الصبح وأخذنا نمشي، ونسير حتى وصلنا بحمدالله إلى الغابة التي كانت قريبة من سوق بلدة برافشة، فمشينا حتى وصلنا إلى سوق برافشة، ثم استقبلنا الإخوة الموجودين في السوق، وأعطونا الماء ونقلوا الأخ المصاب إلى المستشفى، وفي السوق التقينا مرة أخرى مع الإخوة الذين افترقوا عنا في القصف، فسررنا بهم، فلما سمعوا مقتل الإخوة حزنوا جداً.

وبعد يومين من وصولنا إلى البلدة استطعنا أن نأتي بأجساد الشهداء؛ لأن طائرة الاستطلاع كانت تحوم فوقهم، ثم دفناهم.
وبعد أسبوع من الحصار على المدينة أرسلنا الأمير مرة أخرى إلى ذلك المكان الذي يدعى " ياسر" ، ففرحنا جداً لعلنا نستشهد هذه المرة، ولكننا لم نستشهد وندعو الله الخير.

أما الأخ عبدالماجد فإنه لم يستشهد في هذا القصف؛ بل استشهد بعد سنة وفي منطقة أخرى.

فأدعو الله سبحانه وتعالى الذي حفظنا من الأعداء في هذا الحصار، واصطفى ثلة من عباده، أن يحفظنا أيضا من حصار شياطين الإنس والجن ويصطفينا للقائه. آمين